طلائع الشيب

للأستاذ الشاعر محمد الأسمر

زار رأسي المشيب قبل أوانه ... وهو بئس النزيل في إبانه
ضيفن ما دعوته ، حل كرهاً ... آكلا شاربا بغير مكانه
ليت هذا الذي يزور بداراً ... صك سمع المزور باستئذانه
أخطأ الشيب في الزمان لما يسـ ... ـعى إليه ، فحل في شبانه ؟
كيف شيبي وللشباب حقوق ... ما تقضت والعمر في عنفوانه ؟
أعلن الموت بالمشيب فأهلا ... بمجيب أسار في إعلانه
لست ممن يخشى الحمام ولكن ... أنا ممن يخاف من أعوانه

* * *

خل عنك الصبا وخذ في التصابي ... واصبغ الشيب واخفه عن زمانه
صار فودي مرقشا أشمطيا ... أمين صافي السواد من طيلسانه
شائب الشعر إن بدا فترقب ... ثم فتكا (للروم) في (حبشانه)
كدت أقلي مصر العزيزة لما ... أن طغت (مصره) على (سودانه)

* * *

لم يرعني من جانب الشيب إلا ... ضحكات الحسان من لمعانه
قائلات هل شبت ؟ ! ياويح نفسي ... من زماني ومن سؤال حسانه
شيبتني حوادث لو أصابت ... جنح ليل لشاب في ريعانه
و (فؤاد) بين الضلوع عنيف ... أبداً حانق على أزمانه
عاشق للجمال يهمس بالشعـ ... ـر وشيك الفناء في أوزانه
لو أميط الشغاف عنه تجلى ... عابداً عاكفا على قرآنه
تخذ الصدر معبداً فسلوه ... كيف أمسى يهد من أركانه

* * *

أيها القلب ! لا يضرك زمان ... لم تنل منه غير مدح لسانه
قلت قولا ، وقال قولا ، فنفل ... بعد هذا ماغاب من إحسانه

كلما صحت أيها الثائر اهدأ دق صدرى ، ولج فى خفقانه
أنا إن شبت فالمشيب إحتراق وشرار فى الرأس من بركانه
قد كتمنا فى القلب ما نظر (الشعـ ـر) إليه فضاق عن كتمانه
ذلك الشيب صبغة الدهر فاعجب من يديه فينا ومن ألوانه

* * *

أيها الفاحم المولى ، رويداً أنت طير يثار عن أغصانه
ما حمدت (البزاة) ساعة حلت فوق رأسى تطير من (غربانه)

* * *

(منجم) ألقيت به (جمرات) فارتقب ما يروع من بيرانه
ما دهمنا من (فحمه) ى شىء فسلوه لمن أتى (بحمانه)
لهب الشيب للعيون تجلى ولعينى منه كثيف دخانه

محمد الاسمر

لسان الدين بن الخطيب

(بقية المنشور على الصفحة ١٠٥٤)

١ — محاكاته للمشارقة من المصريين والشاميين فى افتتاح الرسائل السلطانية ونحوها ، ممن نحا طريقة « القاضى الفاضل » فى ترتيب عناصر الديباجة المفتتحة بها الرسالة من تكرير أوصاف المرسل إليه ، وتلقيبه بالألقاب الرفيعة ، ومخاطبته باسم المجلس والمقر ، وتكرر الدعاء وتلقيب مقدمة الرسالة — إذا لم يكن سلطاناً — باسم المملوك أو العبد أو المولى أو الخديم ، كما كان يفعل كتاب المصريين والشاميين ، المقاربين لزمانه ، أو المعاصرين له : كالشهاب محمود الحلبى ، وبنى عبد الظاهر ، وآل فضل الله العمرى ، وآل البارزى .

ولم يكن ذلك النهج متبوعاً فى الأندلس والمغرب ، وإنما ذاع فى آخر عهد الأندلس على يد « ابن الخطيب » ومن لف لفه ، ولكنه لم يتهافت على طريقة المصريين من جميع وجوهها من تلقيب كل ذى منصب بلقب خاص ودعاء خاص ، بل أرخى لقلمه العنان فى التلقيب والدعاء بما يشاء .

والسبب فى محاكاة لسان الدين ومن شاكله للمصريين ، ضخامة ملكهم ، وامتداد سلطانهم على مصر والنوبة وبرقة والشام والحجاز وبعض الجزيرة ، وتعدد خططه ودواوينه المكتظة بحملة الاقلام من الكتاب والشعراء والمؤلفين ، ومملكة الأندلس إذ ذاك دويلة لا تربو فى ذرعها وأهلها على إقليم واحد من ملك مصر ؟

« يتلى »

أحمد السكندرى